إلى الأخ الصديق العزيز
الشاعر أحمد دوغان
مع خالص ودي وتقديري
وهران   حسن فتح الباب
غرة المحرم ١٤٠١
9 نوفمبر 1980

د. حسن فتح الباب

معزوفات الحارس السّجين
رؤيا إلى فلسطين

شعر

منشورات اتحاد الكتّاب العرب
دمشق ١٩٨٠

حقوق الطبع محفوظة

تصميم الغلاف : سمير الكراد



معزوفات الحارس السّجين

الجواد والرّمح

تقاطَرتْ خلفي سواقيهم وسال الصمتُ

من عينيْ جوادي •• من عيونِ الليلِ

من تجهُّم الحراس

أغفتْ مواجعي على حجارةٍ مسنونهٍ

غرقتُ في أقبيةٍ من الرصاص

وبيتهم من طين

وكان صاحبايَ فارسينِ مقرورينِ

تمثالينِ من نحاس

كانا الجناحين •• وكنتُ طائراً بلا جناح

تُرى أحبتي يرونْ •• يسمعون حين يحلُمون

دبيبَ خطونا على مساكن النَّملِ ؟

طاردني ظِلِي

فجئتُ في [دورية الليلِ]

أنفاسُهم خابية •• كانت شُواظاً في حصار الشمسِ

تُلجِمُ استباقنا على الجيادِ

وارتيادنا أماكنَ الجفاف والأزمنةَ الخضراء

كان خيالي مُقعداً •• طرفي حسيرا

لأنني حين أُمرتُ •• ما أطعتُ

لم أكنْ كما أريدَ بي أميرا

نصبتُ نفسي راعياً أجيرا

ألقيتَ ما حُمِّلتُ من قشٍّ

ومن شرائطٍ ملونه

كان ينوءُ كاهلي بها

وقلبي كان عارياً •• غِرارة منفوخةً

تحمْلها مياههم •• تنأى بها الرياح

نزعت شارةَ الإماره

وسرتَ في طريقيَ الليلي محمولا على أنفاسهم

خلفي سواقيهم

وسال الصمتُ من عينيَّ جوادي

من عيون الليل •• من تجهّم الحراس

يسألني عن طائر الصَّباح ••

* * *

وانفجر الصمت

تحلـّل الطينُ الذي ارتوى أبي وإخوتي

منه وكانوا صامتين

لطـّخ سترتي المزركشه

أنقذني من قـُبعات الدم

من قلعتي •• والقوقعه

تحلـّل الطينُ وكانوا صامتينْ/لما دخلت من بروجها المبعثره

خضراءَ كانت شمسها المـُحترقه

حامت حمامةٌ على ظلـّي

نصبْتُ قامتي المُعفَّره

ثم التقينا فجـأةً

كانت عيونُها التي غفَتْ مسَّهده

وكان قلبها بعيداً .. كان قلبُها

يقتلهُ الغُفرانْ

يطفئهُ التألقُ

أخضرَ كالشمس التي تحترقُ

أرقَّ من حدّ السكاكين التي تخدشُ قلبي

عريانَ تحت عينها التي غفَتْ مُسهَّدهْ

• • •

نزعتُ عن جبينيَ القناع

لثمتُ فضلَ ثوبهـا

أعطيتها أوسمتي

الفارسْ الذي ترجَّلْ

كان مغنّياً رقيقَ الصوتِ والإهاب

وكان حاملاً صليبَهُ يوم ارتحلْ

وسترةً .. وقبّعهْ

أودعتُها أغنيتي .. طارتْ بها

شرارةً .. حطامُها حطَّ على قلبي

على البيادر

وأودعتْ حنينيَ الحفائرْ

نفَتْهُ من ضلوعها

غاصتْ قوائمي .. أنا غريسُها

رجعتُ بعد ألف عام

أنا الجوادُ الطاعنُ المكابر

★ ★ ★

اعتراف

سأعترفْ

عشرونَ عاماً في شِراع النفي ما اعترفت

أركضُ في مدائنِ النجوم والجماجمْ الجوفاء

تهدرُ بالموتِ

والقصَبْ الدامي يسوج أخضر البحار

يُنقذني من هُوَّة الصمتِ

تحت النخيل في الظهيره

وفي الأصائل المثيره

يُروعني شروقُ الاحتضار

على روابي الانتظار

ينقذني من شبَح يخوضُ في دمي

من صَدأ الصَّليل

فوق جوادي العاقر القديم

عاندتُ يوم جئتُهم نبوءة المُنجّم

غاصتْ بأرضها التي احتضنْتُها قدمي

عُذِّبتُ مرّتين

فمرّةً لأنني أحببتُها

ومرّةً لأنني لم أعترف

أنا الغريبُ الملِكُ الضلّيل

★ ★ ★

قتَلْتُ مرّتين

فمرّةً نفسي

لأنني رفعتُ راية القناعه

وكان لي غلام

رأيتُ فيه وطني المجرّحَ الشهيد

يعودُ أخضر الإهابِ ضاحك العينين

وكان لي وتــر

أطفأتُ فيه شجني المُخاتِلَ العنيد

لأنني استبدلتُ بالذين آمنوا

بأنني النبيّ في ثياب ماردٍ

أمّاً وطفلتين

وبعتُهم

من بعدما أسلمتُ نفسي للبكاءِ والحنين

وزُلزلَتْ قوائمي .. أنا المغنّي شاهدُ العصرِ الحزين

ومرّةً أبي قتلت

[أبي الذي مضى

ولم تُشيّع نعشَه حُشود][1]

قتلتهُ

لأنني مشيتُ مُختالا على قبرِهْ

ونمت عن ثأرِهْ

وكانت الأفعى التي التفّت على صدرِهْ

---

(1) البيت من قصيدة (ضابط في القريـة) التي كتبتهـا سنة ١٩٥٨ ونشرت بديوان (فارس الأمل) سنة ١٩٦٥ .

ترمقُني بنظرةٍ جوفاء

وضِحكةٍ جامدةٍ صفراء

رجعت خاليَ الوِفاض

تفاحتي مُرّة

أنا رقيقُ الأرضِ .. شاعرُ الأمير

★ ★ ★

وكم رُميتُ في سراديب الجيادِ النَّخِرَه

أقول لا : يلفظني السُّرادق

ألعنُهم : يرمونني بما افترَوا

أحثو على وجوههم ترابَ قريتي

يُغرون بي السَّناجق

تنكأ جُرحَ مهجتي السنابك

ياويلتا من شجَن الشادوف

يدور مصلوباً على حُفره

ينزف مِلْحاً

تقول لي صفصافة حزينه :

أنزف جرحاً .. هل لديك من عزاء ؟

تمر بي الزوبعة اللعينه

يفرّ عصفوري : لِمَ البكاء ؟

الحب أقوى .. والسواقي السبعُ لا تنْعى الجدود

وإنما تبكي على الأحياء

تبكي على عُشّاقها

تبكي على العصفورِ لا يقتحمُ الأنواء

في موكبٍ من الدماء والسرورِ

... تسقطُ الصقورُ

... تسقطُ الجياد

والحبّ يبقى .. والسواقي السبعُ لا تبكي

والعصافيرُ التي عادت .. تطير ..

★ ★ ★

الزوبعة

في سالفٍ من الزّمان
نُصِّبْتُ عاملا على مملكةِ الرعاه
وجابياً يهبطُ أسواقَ العبيد
يفتّش اللّحى .. ويثقبُ الخدود
وكنتُ حارساً على مَقاصِرِ العُراه
أحجبُ أعينَ الجماجم
أحمي مراتِعَ الصقور من تطلّع الحمائمِ
أصعد كلما أشاءُ دون أن
أملِكَ مرةً مشيئةً
أقول : ماذا لو أصبتُ
ثأريَ القديمَ مرّةً ؟

ولم أكن دخلتُ قبلها مدينة الدمى

ولا رأيتُ كيف يفجُر الوُلاه

ويصبحُ الخَنا مواسمْ

واخترقتْ تمرّدي رصاصةٌ صمَّاء

فصرتُ عارياً بشعري .. كاسياً بسوْطِهم

مُصفَّداً بالحب .. قادراً بمقتِهم

أصيح في مُفترق الرّياح

يا مَن يبيعني جراحَهُ

بقلعتي .. والقوقعه !

بصهوة الجواد والرماح !

أصْحو على مَنام سادتي العُراه

أبيتُ سجَّاناً على جماجمِ الرعاه

أنا السجينُ في قيود العُرى : دُميةٌ ودمعةٌ

تفاحةٌ وجمجمه

أنا سجينُ الزّوبعه

★ ★ ★

مُسافرٌ الى الشمال

زهْرٌ من اللوتسِ .. حُزمتا شُعاع

مسافرٌ بلا مَتاع

ألقى بيَ القطارُ في محطةٍ مُحتشدَهْ

رأيتُ فيها مَن رأيتُ غيرَ أنَّ مَنْ

بحثتُ عنه .. لمْ أجدهْ !

أشارَ لي حمّال

لأقرأَ الذي طواهُ في يمينه

أسلمْتُهُ يدي .. أعادها إليّ

ولاحَ لي كتابُ موتانا على جبينهْ

• • •

لاذتْ بكفيَّ طفلةٌ
وكنتُ قد أُلبِستُ زينةً من الثياب
حمَلتُها .. صاحَ بأذني ناصحٌ رفيق
لأنَّ موكب السلطانِ كان في الطريق

. . .

هرولتُ أفسحُ الفضاء للبشير
تشبَّثتْ عصفورةٌ شاردةٌ بخطوتي
لتجتلي الحدائقَ المعلَّقه
من كوةٍ تطل من أقدام عسكرِ الأمير
ذكرتُ أنني أسير
ودِدتُ لو علّقتُ في جناحها الكسير
لو أننا معاً نطير
نطيرُ قبل أن ترانا أعينُ الصقور

★ ★ ★

الرمــح

صرتُ أمير الفقراء

نصبْتُ خيمتي ليالي-السهاد أصبحَتْ

حبلَ معذَّبين

رفعتُ رايتي على بيادر الذين حمَّلوا جيادي

حِفنتي شعير

يوم تناءينا •• وكانوا ياسمين

رجعْتُ حينما أُمرت

ركزتُ رمحي فوق صدرهم فقاموا عانقوني

وجدتْني أكثرَ منهم غربةً

لا عشٌ يأويني

عرضْتُ نفسي في ركاب المدُنِ المسافره

طاردني الدليل

لولاه ما اكتشفتُ وجهي .. وما عرفتُ وجه طيبةَ التي

تسأل عني السفُنَ المهاجره

ترْصُدني بجفنها العليل

* * *

الألـوان

نصبتُ آلةَ الزّمانْ

أسألُ عن موتي

كنت حزيناً ضائع الصوتِ

لا تنظري اليّ

لن تعرفوا وجهي

أنا الذي سامرتكم طويلا

أحببتكم قليلا

ينبت ريشكم على أجنحتي .. فأكتسي

لوناً .. ويأبى داخلي الألوان

لأن في ضلوع أحبابي الذين لم يملئوا

صُحبتي ورداً بلا ألوان

وحين خُنْتُهم

وجئتُكم

عذّبني أني جنيتُ الشّوك

وضاع مني الورد

وكان شوكي مثلَ وردهم بلا ألوان

رأيتُ في حضن الضّحى صبّاوةً خضراء

وقبلَ أن يأتي المسا .. أضحت بلا لونٍ

وحالتْ في فمي الألحان

شربتُ أحزان القرى .. غنّيتُها

لم تتبعني .. لم أكنْ بتابعٍ أمين

كان ردائي صُفرةً نزفْتُها

من عرَق السنابل

ولم يكن لخطْوتي التي جهدتُ كي تلينَ

غيرُ أصداءِ السّلاسل

★ ★ ★

ولستُ قِدّيساً مُقاتلا ..

يخونني اليقينُ .. لا

يصدُقني الذي أريــد

يطلبُ قلبي الوهمَ مصباحاً على

الأمواج .. يختار أناشيدي دليلا

ينخرُ عظمي الخوف .. أعترف

أموتُ بالــداء الذي يقتلكم

قصائدي تقاتلْ

يهرب قاتلي الجبانُ في إهابي

أغتدي أنا الذي قتلت

لأنني ما زلتُ أرقبُ الأفـُق

بعين لصٍّ جارحٍ لا يعترفْ

وقلب حارسٍ على مُفترقِ الطـُّرقْ

يحلـُم بالأطفال والشفـَقْ

★ ★ ★

لمّا حوَتْ أحبَّتني الأرائكُ

سوداءَ ــ كانت عرشهم ــ من طين

تهامسُوا .. لم يلبثوا إلا قليلا

بعدها تضاحَكوا

وفجأةً تفجَّروا بالصمت حينما طلعت

كانوا هناك ينظرون

كالحةً أثوابهم .. ناضرةً وجوههمْ

مُشرَعةَ الأقدامِ والعيون

سمعتُ خفْقاً واحداً من جمعِهم

بين الصِّياح والسّكون

تساقطت ضحكتُهم على ثيابي

انهمَرتْ .. وألهبَتْ جِلدي .. رجعت

وحين حوصِرتَ بصمتهِم ضُلوعي

تساقطت دروعي

أصبحَتْ بارودتي التي ادّخرتُها هباءً

أصبحتْ سيفاً من الخشبْ

حملتُ فأسا مثلهم .. كلَّتْ يدي

نصفي الذي تحت الرِّداءِ

عاد حمَّالَ حطَبْ

* * *

أحمِلُ بين أضلعي ليالِيَ الشتاء كومةَ الحطَبْ

أحمِلُ أعواد القصبْ

كنتُ أبي

أنكَرني أحبَّتي

وفي عيونهم حملتْ بعده وشْمَ لهَبْ

دجَتْ — وكانت ليلةً صيفيةً صافية —

تجهَّمتْ حين ارتضيتُ بعدَهُ مُنقلَبي

مَسيرتي من تحتها .. سُخطُ نبي

ساقيةُ الغضبْ

تعبتْ .. أيقظت سهادىَ اليدُ التي تغضّنتْ

على فم الطّنبور

وهدهَدتني خطوةٌ على حِفافيْ تُرعةٍ

تحلمُ بالهودجِ والصندوقِ والنحاسِ والحصيرْ

تحلمُ بالليمونِ والكافورْ

★ ★ ★

خمسةُ أعوامٍ وعشرٌ انقضتْ

ولم أزلْ كما علِمتْ

فكيفَ أنت ؟

ما زال صوتُ الرّيح

ما زالت بقايا نايها الجريح

مناحةَ النساءِ والأطفالِ بين الطين والرياح

خشخشةَ الأوراق والأقدام فوق الجسر

صريرَهُ الدّاميَ في أجساد من بنوه

ولم يذوقوا مرّةً نفايةَ الوليمه

وكانت الجريمه

مطرقةً ومنجلا على رءوسِ الحاصدين

• • •

تفجّر الحلمُ الذي جسّدتهُ « دماً على البحيره »
دماً على أعناقِ ظالميك
وربما سنبلةً نَبتْ على جدار بيتك
ترى غدوتَ ربَّ دار ؟
كانت زيارتي الأخيرةُ التي أذكرُكم طالت
وكانت ليلةً باردةً
في بيتك الذي فتحتَ بابهُ لكلِّ شاردٍ
من غير أجرِ
لأنك امتلكته بغيرِ أجرْ
وكان بيتك الرياح والبحيره
كان الفضاء
وكنتَ سيّد البحيرةِ الذي
ينصبُ ظلّه المديد فوق حافةِ الوجود والعدمْ
يغرف من بحر السرورِ والندمْ

لمن يشاء

حين ترى الفارسَ والجوادَ أقبلا

من بعد أن دارا هناك دورتين

ثم أناخا صامتين

وقدَّما لك الأمان

كان الشتاءُ قاتلا والسرّ مقتولا

وكان القمقمُ المحجوبُ خلف السدّ[1]

والمجدافُ مصلوباً على يديك

وحين أقبلا .. ترجّلا لديك

وابتسما .. وسلّما لك البحيره

فارتسمتْ على المرايا واعتلتْ روابيَ المساء قامتُك

كانت عيونُ الموج مرآةً .. وفي القارب مرآة*

---

(1) الجسْر: عائق من الحجارة والتراب كان يقيمه الاقطاعيون على بعض البحيرات في ريف مصر عند أضيق موقع في المجرى كي ترتطم به الأسماك في حركتها، فيسهل عليهم صيدها، على حين يضار الصيادون الفقراء من نقص الثروة السمكية في سائر أجزاء البحيرة ولا يجرأون على هدم هذه السدود المحظورة قانونا مخافة بطش الاقطاعيين.

* وهذه القصيدة تنويع على قصيدة (دم على البحيرة) التي كتبت في عام ١٩٥٨ ونشرت في ديوان (فارس الأمل) . كما أن القصائد السابقة كلها تنويعات على قصيدة (ضابط في القرية) السابق الاشارة اليها .

صغيرة" لبنتك التي نمَتْ

وما تكوّر الثديان .. كانت أمُّها

كوْمَ عظامٍ وطحالبْ

وارتسمَ المجدافُ رُمحاً .. والفضاءُ ضاقَ

في عيونِ قاتليكَ والسد الذي دُفِنتَ فوقهُ

هوى بضربةٍ واحدةٍ

صِرتَ أميرَ الصَّيدْ !!

وحينَ عُدتَ بعدْ

عُدتَ نبيَّ الغربا ء!!

• • •

أعلَمُ أن آخِرَ الأبناءِ لم يعُدْ

كان اسمه مُحمد

وكان يشتاقُ الى ريح المدينه

وكانت الزرقةُ في العينين تحتوي اغْترابي

تنفِرُ من دائرةِ الصلصالِ

من رائحة الأسماكْ

تبحث عن أفلاكْ

رأيته ُ آخرَ ما رأيت

كأنه يبيعُ ياسمين

على رصيف العاشقين

وربما كنتُ على المقهى وأنتمْ

في ثيابي حينما كنتُ أغنّي

عن شقائي بكِ .. عما يجعلُ الناسَ جميعاً أشقياء

آه ! ماذا بعثَ الذكرى(★)

آه (متولي) ! لماذا لا أقول

أنني شاهدتهُ كوْماً من اللحم مُدلّى

قمراً تحت الأفُول

تحت أقدامِ السُراة الرّاكبين

لم أكن أملِكْ إلا أنْ أقول

إنني شاهدت (متولي) صريعاً في المدينه

قمَراً تحت الأفول

(*) تغيير الايقاع اقتضته ضرورة نفسية .

بينما كنتُ أُغنّي

• • •

جعَلْتَ مني بطلا

ونلتَ أنتَ أجْرَ ميّتٍ بغير قبر

وإن أقمتَ بيننا ظِلاً على جدار

يـداً على مجداف

وبعضَ أنفاس المساء

نصفُكَ من تُراب

ونصفُكَ الباقي من الزَّبَد

وجهُك آلافُ الوجوهِ كلّها شِباكُ صَيْد

ويلٌ لمن لم يحترفْ الا الحنينَ والبكاء

وشِعرَ الاعتراف

جعلتَ منّي بطلا

ونِلتَ أنتَ أجرَ ميّتٍ بغيرَ قبر

★ ★ ★

(دِشْنا) تُضاجعُ الجبَلْ[1]
يسترُ باليمين عُرْيها على جُذوع نخلِها القديم
يسدّ بالأخرى ثقوبَ الخوف في الجباه والعيون
وفي بيوتها التي تلاصقت بلا جدار
يجعل ليلَها النهار .. فجرَها الأسرار
اذا أقضّ نومها القريرَ عسكرُ الأمير
وانتهكَ السّتار
وحين يشربُ عُنقودُ الغضبْ

(1) دشنا : قرية في أقاصي صعيد مصر تمثل نموذجا للتخلف من جراء التركيب الطبقي والعشائري وافرازاته من الفقر وتفشي جرائم الثار والخطف ، وازدياد تلك الظواهر في ظل البورجوازية الطفيلية .

على عرائش القصبْ

ويُقبلُ « العرَب »

يستبقَ « الهوَّارةَ » المُلثَّمون (للسزاغلِ)[٢] المحجَّبة

تصبحُ (دشنا) مَرْكبَه

جِيادُها الجفافُ والثَّاراتَ والعـار

وملجأً على الجبلْ

تُصبح (دشنا) رمالَنا التي

غدَتْ رجالنا بلا ثمن

ويحملُ الشَّباب والكهولُ قبرَهم

بلا كفنْ

ولا وطنْ

وتُنصَبُ الولائمَ الحمراءُ للجياع في النُّجوعِ

تستحمّ (دشنا) في النجيع

• • •

---

(٢) المزاغل : أبنية من اللبن المرصوص باشكال طولية في مثل قامة الرجل تقام بين جدران الحجرات العلوية بالمنازل ، ولها فتحات توضع بها فوهات البنادق في أوقات الصراع الدموي بين الهوارة والفلاحين للتسديد على الخصوم ٠

موّالهم يدور تحت أسقُف الكافورِ

في بطنِ الجسورِ .. تحت خيمةِ البكاء والسرورْ

وأنّة الطنبورْ

وفوْرة التنّورْ :

ياليلُ طالتْ غيبةُ الأحباب

مُشرّدين بين أسْرِ الطين واتفاضةِ الرمّال

ياعينَ لا تبكي على الرّجال

مُجنْدلين في الحِياض والشّعاب

وكلما تساقطتْ رءوسهم مع الرياح

نحمِلها مُكبّلين بالجراح

ومُثخنينَ بالعذاب

نُودِعُها — لكي تضمَّ شملنا — أكواخَنا

إ هابلجلودنا موتانا

تذكارُهم نسيمُنا والريح محْيانا

فهذه المقبرةُ التي توسّدتْ حنيّة الجبَلْ

لا تسَعُ القتْلى من الأموات

... واللصوصُ تنبشُ اللحود

ليشربَ الموتورُ من جمجمةِ الصّريع
وتُوقَدَ الشّموع

• • •

حين طلعنا من مدائنِ الدّخان
كانت قُراهم تحتَ وابل المطَر
خضيبةً •• والبرقُ كان داميَ الشّعل
ولم يكنْ مكان
يجمعُنا •• ولا زمَنْ
ثم انتظرنا •• كانت الشمسُ على خَوْذاتنا
مصلوبةً •• وكانت الذئابُ في حِضن الجبل
وديعةً •• كنا نشاهدُ الحمائمَ الضحايا تنْتحِرْ
فوق الهِضابِ والوهادِ السّودِ
••• والصقورُ تغزو الشاطىء الحزين
وانفجرَ الحنينُ في جوانحِ الطاعن والطعين
للأرضِ •• والجفافُ يرعى •• الكهوفِ •• للبنين
وأقلعَتْ أمطارُها الحمراء

وعادتْ الذئابُ تستردُّ نابها وظفرَها
من الحمائمِ التي تقاتلتْ على بيوت النملْ
واحترقتْ على بروج الظلّْ

• • •

(دشنا) تريدُ القوت
والجبل الأصم غارقٌ ممدَّد على المساء
(دشنا) تريدُ الثأر
والجبل الأصم غارقٌ ممدَّد على المساء
مدجَّجٌ بجوعهِ والكبرياء
يحلُمْ بالخصب وبالدماء
(دشنا) تضاجعُ الجبل
وتنصِبُ الولائمَ الحمراءَ للجياع
... تستحم في النجيع

★ ★ ★

– ١ –

تصوَّري .. ما زلتُ أحياكِ
تُسْلِمني اليكِ كل خطوةٍ
ولا أراكِ

تستيقظين في إهابي .. في دمي .. ولا
ألقاكِ .. والحب الذي أرضعتهِ كأنهُ
دَمٌ شهيد

مضى عليه ألفُ عامٍ .. لم يجف
يحلمُ بارتيادِ كوكب بعيد
ولم أكنْ من رائدي الفضاء

ُولدتْ تحت عالمٍ لم يُكتشف
ولم يكن له سفين
فلم أجدْ طفولتي
وكانت اللعبةُ أن أصمتَ كي أسمعَ
ما لا يبصرون
فكان صمتي •• وانتظاري أفُقاً
يعيدني طفلينِ •• أنتِ وأنا
وطال صمتي •• ظل بيتنا بغير سقف
ومِعطفي صدى رياحٍ تختفي
في قاعها السحيق طلعةُ الشموع
طفلٌ بغير معطفٍ
ولا دموع

• • •

وما عرفتُ في شهور الصيف
كيف يصيرُ الناس والأمواجُ خلقاً واحداً
بلا ألـمْ

وربما زهدتُ أن أكونَ عارياً

خشيتُ أن أسيرَ حافيَ القدم

فتوصَدُ الأبوابُ دوني إنْ رجعتُ •• يُغلَق الكتاب

ولا أراكِ في غـدٍ تأتينَ لي على

أجنحة مزهُوّة الحروف

ومِعطفٍ شفيف

لكنني احتفظتُ بالبحار

رسماً يضيء دفتري الصغير

سمعتُ للملاح والنوْرس صوتاً واحداً

ينداح في غياهب الأثير

• • •

وصار صمتي لغةً •• ولعنةً للطين

وحين غنيتُ لجاجارين

أغنيةَ الطير الذي حطَّ على حديقة الغيوب

وكيف أضحى الكونُ والانسانُ قلباً واحداً

لم يسمعوا شَدْوي

عرفتُ أنَّ النقى مهنةُ المغنِّي .. آخرُ التعذيب[1]
وأنه لولاكِ ما حييتُ كالغريب
وأنَّ عالمي الذي يموت ...
بين يديك يعترف

- ٢ -

حبيبتي
صديقنا الذي عرفتِ ما يزال
مقلباً عينيه في حدائق الغيوم
يبحث عن بشاشتِكْ
يبحث عن فيروزتين فوق شاطىء المحار
وموجتَيْنْ في الأعالي .. نغمتينِ .. لا حدودَ .. لا قرار
وخطوتين في المطار
لطفلةٍ لم تعُدْ قطُ امرأةً تحتضنُ الهموم

---

(١) اشارة الى اقصائي من العمل ضابطا في شرطة العاصمة وسكرتيرا لتحرير مجلة الامن العام التي كانت تصدرها وزارة الداخلية المصرية ، ونقلي الى براري محافظة كفر الشيخ في أقصى الدلتا عقابا لي ولاكون بمعزل عن الجماهير ، وذلك على أثر تقرير سري من المباحث العامة عن قصيدتي (أغنية الى جاجارين) التي نشرتها مجلة الكاتب في يونيو ١٩٦١ ثم تضمنها ديوان (فارس الأمل) بعنوان (أغنية الى رائد الفضاء) ١٩٦٥ .

وعاشقٍ لم يعرفِ الطفوله ...
كان الصغارُ يوأدون كلَّ فجـــر
ويكبرون فجأةً في الليل
وفجأةً تدهسُهم على رصيف الانتظار
حوافرُ المأساة .. والبطوله
ولم يزلْ يبحث في عينيك عن حريته
يبحث في صباكِ عن براءته
وكلما سكبتِ ومضةً من ابتسامتك
دعـــا رفاقَ عمره ... خيَّرهُم
أن يأخذوا أو يتركوا قلبَهْ
يعثُر صدرَ راحلٍ لم تعرفي حبَّهْ
كيف يُحيل الأرضَ والسماءَ منجماً .. وملعبا
والشفقَ الدامي خميله
ولم ترى كيف مضى
من بعدِ أن ألقى بزهرتينِ لكْ
ولم يعد ـــ ياطفلتي ـــ منتظراً عودتكْ

* * *

ولم تعودي أنتِ بعدها

ضلَّ بك السفينُ في فضائكِ الغريق

وكان ملاحوه يصرخون : لا انتظار

يموتُ مَنْ يقف

أما أنا .. فقد عرفتُ ذات يوم مركبه

تُقِلُّني الى التراب

يا وطني .. يا كوكبا لم يُكتشفْ

لا تعترفْ

موطنهـا السحاب

وأنتَ سرّ الرعد والبروق

دمٌ شهيدٌ .. لا يجفّ

ينزِفُ أمطاراً .. ويلفِظُ الزَّبَد

منتظراً ضمَّتها الى الأبد

الى الأبـد

★ ★ ★

الحزنُ كان موعدي مع الرِّفاق والسِّنين
وكان لحظةَ الغوايهْ
وروعةَ اليقين
الحزنُ كان موعدي وموطني
أحرسُ فيه مُلكيَ العقيم
لأنني قامرتُ في البدايه
وقفتُ حين كان سيّدَ المدينه
جلادُها المغامرُ المشئوم
وحينما خيرت أن أقدّمَ الذبيحَ
فديةً لمملكتي
ووجهك الحزين

لم أتردد .. صرتُ بعده اليتيم

وكانت النهايه

وكان حزني أنني بلا ولَد

* * *

نفضتُ عني كل ريشةٍ

لطائرِ الطفولة الذي

كان يغنّيني قليلا

ويُمنّيني طويلا

وكنتُ عاشقاً غناءَهُ

وزاهداً في الأمنيه

وحينما فارقني .. هاجت بيَ الذكرى

بكيتُ ما زهدتُه وما عشقت

جردتُ صدري من نُسيمَةٍ عليلةٍ

نَما به الصبَّارُ .. ما حزنت

كان رفاقُ حارتي لا يعرفون الوردَ

أودعتُ صدري حزمةً من نار

نصبتْ فيه رايةً حمراءَ

ما شفيتُ مرةً غليلهْ

وكلّما تالقتْ جوهرةٌ من النّدى

تحت الشروقِ

وجستُ .. أعشى عينيَ البريق

لأنني شاهدتُ في مرآتها

عيونَ قُطّاعِ الطريق

جدّي الذي حملتُ ـ طفلا ـ جُثّتَه

مقرورةً .. أوهى يديَّ حملُها .. عودَ حطبْ

حدّثني حديثهم

وكنت قد أحببْتُه .. ولم يكن قد جُنّ بعد

كانت على أشداقهم ألسنةٌ من اللهب

وفي ذيولهم من المُعزّ سيفُه

وبينهم أفعى تخاتل الصغار من عيونها

براءةَ الدمى

وتخطف الأبصارَ بالذهبْ

وبعدها ناصبتُهم عداوتي
عبرتُ أسوار السنينِ قبل أن تحين
نفضتُ عني كلَّ ريشةٍ
لطائرِ الطفولة الذي
كان يُغنّيني قليلا
ويُمنّيني طويلا

* * *

رحلـة

ـ ١ ـ على النيل

أبحرتُ في قافلةٍ

من الوجوه السُّمر والغمائمِ البيضاء والآنية الفخّار

غرقتُ في بحر العرقْ

أنقذني موّال

شممتَ ريح مَنْ أحبّ في عَبيق النهر والمساء والكافور

حبيبتي تحلمُ يوماً أنها

تختالُ تحت ضوء الحبّ والنخيل والقمرْ

بين الوجوهِ السُّمرِ والحمائمِ البيضاء

وهمسِ عاشقٍ على وترْ

وتأكل القديد

لأنها تحبّهم
لأنني منهم
وكانت المركبةُ النيليةُ العجفاء
أقوى على الإسراء بالليلِ
تحت القناديلِ
بين الأواني والنراجيلِ
ولحنِ أرغولِ
غنّاهُ عمّال التراحيلِ
ولم أكن الا غريباً ما له دارُ
في البرّ والبحرِ
قيثارتي ليلٌ وأسرارُ
ونايُهم صوتي الذي أريدُهُ
ولا يكون
لأنني ريشٌ على نسرِ
ظمئتُ .. ما ارتشفتُ قطرةً من شايهم
ولا اقتبستُ في الشتاء شعلةً من نارهم
وحين أصبحنا رفيقيْ سفَرٍ

على سفينهم .. شممتُ ريحَ مَنْ أحِبّ
لأنني عَلِقتُ بالشِّراع
خشيتُ أن ترسو التي عشقتُها
بمرفأ النسيانِ والوَيْلِ
بلا وداع
خشيتُ أن يرجُمني السُّلطان
حين يراني في طريقي الموصَدِ الطويلْ
أمشي كمجنونٍ
فلا ترى عودتي النُّجوع
ولا أرى عَوْدَ المساكينِ
وعيدَ عُمّال التراحيلِ

* * *

ـ ٢ ـ الغرق

لا تفترقْ

عنا •• ولا تقرُبْ

فلا يزال قاطعُ الطريق

يبحث فوق الريح عن قرصان

يدُلّه على مُكابرٍ شريد

طافٍ على أشرعةِ النجيع

على سفينٍ كان يوماً وغرقْ

على أمانٍ للصبايا تحترقْ

يدلّه على شواطىء الأمان

من الوجوه السّمر تنزف العرقْ

مرثيةً •• وحشيةً •• حمراء •

★ ★ ★

ـ ٣ ـ تعليق صغير

واحَسرتاه

أبي •• لماذا تُغرقُ السَّفينه

وأنتَ قد حملتها بأجمل الوجوهِ والأشياء

كأنّها مدينه ؟

أبي وما جناية الصغار ؟

« هشامُ » كان مولعاً بلُعبة الأشعار

يودّ لو صنعتُها كشِعر شهرزاد

« ختامُه الثبات والبنات

ومولد الصبيان والبنات

بُنيَّ هذا عصرُ شهريار

يقتلُ حتى شهرزاد

قصيدتي عن لُعبةٍ يلهو بها الكبار

وحين تغرقُ السفينه

يُقال : كم تظلِمُنا الأقدار !!

* * *

ـ ٤ ـ بقية التعليق

ساءلني ــ معاوداً ــ عما جَنت

براعم" غيَّبها ليلُ الأصابع الجليديه

وهل تعود مرةً أخرى ؟

سألتُه عن دورةِ القمر

أجابني : يعودُ بعدما يغيب .

أسعفني خيالهُ المضي ءفاستأنفتُ صفحةَ الحوار :

أحبابنا كأنهم أزهــار

حياتُهم قصيرة"

لكنهم أقمــار

تتركُ في عيوننا •• قلوبنا •• اذا قسا النّهار

تأتي لنا اذا انتظرناها

تضيءُ في مواسم الأمطار

تُسقط أوراق التقاويم الرماديه

نَسقط في أذيالها الصفر الخريفيه

ويُزهر القسر

يعود منا للترابِ مَن يعود

وتلتقي أطفالنا على القمر ••

★ ★ ★

طِيبة

رجعتُ فرعوناً على طيبه

وكانت الآلهةُ الطينيةُ الشمّاء

هناك منصوبه

أتعبني سكوتُها المريب

ولم تكن صمّاء

نظرتُ في جبينها

طالعني وجهُ ابنتي

نظرتُ في العينين .. كانتا

عينيَّ .. لكنني غريب

★ ★ ★

طيبة : في موقـع الأقصر جنوبا ، ومنف : في موقـع الجيزة شمالا - أشهر عاصمتين في تاريخ مصر القديم .

رجعتُ منفيّاً الى منفٍ
ضلَّ بيَ الدليل
أمّنته هناك من خوفٍ
فاغرورقتْ عيناه
وفكَّ لي قيدي
آخيتهُ .. وصار لي خليل
وجدتُنا على جناحي طائرِ الوعدِ
وفجأةً عدنا الى منفٍ
آهٍ لمنفايَ الذي وحّدنا
على جناحيْ طائرِ الرّعدِ

★ ★ ★

أخلعُ عني الطَّيلسانَ والقلَنْسُوَه

أُمسِكُ رأسي أن تزلَّ بي على أغطيةِ الموائدْ

يقتاتُ بي النسيان

ينزِلُ بي الطاعون

أخلعُ عني الطيلسانَ حينما تناهزُ الروايةُ النِّهايه

من قبل أنْ يسلِّني الجمهورُ أو تخونني البدايه

كنتُ حكيمَ القومِ في الأزمنة التي تزاحمَتْ

على أرصفةِ الجنون

وأدركتْها حِرفةُ التمثيل والغوايه

أكلتُ من طعامهم .. سامرْتُهم

صاروا جميعاً حكماء ..!!

أنقذني الطّاعون

* * *

أبصرني غـار" على الطريق
جبنتُ أن أقرُبَه
من قبل أن تبيض لي حمامتان
ويحتفي بي عنكبوت
دخلتهُ •• فلم أجد أفعى
وسار خلفي العنكبوت •••

★ ★ ★

ركبتُ أسطُحَ المعابدْ

وجدْتُني وحدي

تداخلتْ مآذنُ المساجدْ

بكيتُ من وجدي

وانتشرَ الطوفان

يا حسرتا على العبادِ

ما يأتي مُصدّقٌ من القرى الحزينه

إلا نفوهُ .. كذّبوا النبوءَه

حمَلْتُ أوزارَ الذين آمنوا

بي حين كنتُ ملحداً

ولم يعودوا .. عدتُ لم أجدْهمو

ولما عرفتُ أيّنا المُضلّلُ

وأينا المُضلّلُ

لأننا لم نعترفْ أنّا مضيْنا .. ما تعارفنا

ولم نخفْ لما تعرّينا

* * *

يا حسْرَتا على العبادِ

ما يأتي من القُرى مُصدّقٌ

إلا افتَروا .. كانوا به يستَهزئون

حين رَمَوْني بالجنون

لأنني مكذّبٌ

أيقنتُ أنني المقاتلُ الذي

ما عاد منصوراً ولا شهيداً

لكنه ألقى ببذرةٍ هناك

في سواحلٍ بعيده

تُنبتُ سَرْواً .. فوقه

نشدوغداً بصوتِ بُلبلَين

وثغرِ عاشقيْن

نعودُ منصورِين

نعودَ منصورِين

★ ★ ★

في الربيع

لمَّا أتى النيّروز

خَلعتُ معطفي الذي استأجرته

وسرت فوق الماء حرّاً كالأساطيرِ

قريراً مثل صيّاد عجوز

أحدّث الأسماك والنوارس المحوّمه

على شراع صخرتي

أُحاور السحائبَ المنطلقه

أطردُ عني الذكرياتِ الهَرِمه

أصعد مختاراً على جبالي المزّقه

تلوح لي جُمجمتي المُعلّقه

أعود منفياً على صخرتي

★ ★ ★

والآن •• ما اختيارنا في ليلة الربيع

ما انتظارُنا

ورأس يُوحنّا الوديع

يتوّج الشموعَ بالتّجيع !

لِترقُصي يا امرأةً تمرّدت على المشيئه

لترقصي على أسنّةِ الخطيئه

شبّت عليكِ النارُ في الضلوع

تفضحُني

هربتُ من جلدي الذي يجلدُني

ورأس يوحنا الذي احتضنتهُ

منزلق على الصقيع

★ ★ ★

ألقيتُ ما ادّخرتُ في مهبّ عاصفه
عادتْ اليَّ حِكمتي معصوبةَ العينين
ولم يعُدْ قلبي الخليّ
وكان حزني أنني أحزَن
وأنَّ مَنْ لديه ما أريدهُ
لا يعرف الأحزان
وأنه يسلِكْ أفراحي القليله
وأنه السيّد حتى أقتلَه
أنا الذي ما زلتُ ــ في حزني قتيلَهْ

★ ★ ★

أحمِلُ خطوى في ليالي الرَّبيع

أزوركمْ .. نحيا على الذكرى قليلا

أسمعُ نايَ الغربـــاء

وأغنياتِ العائدين

والثمْ الربيع في جبين طفلةٍ

وفي تلامُح العيون

أسمع ناياً .. لا أرى وجوهَ مَنْ أحببتهم

ومَن أحبّوا أن يروني قبل أن ينطفىء الشعاع

سِرتَ بعيداً .. بيتكم من الزجاج .. والشبابيكْ التي

غنّت مواويلي ولم تملَّ صُحبتي

هوَتْ مِنَ الذِّكرى قتيلَه

★ ★ ★

المُدن الألوانْ

والمُدن الصلبانْ

تعانقتْ .. وافترقتْ

بلا أوانْ

. . .

حين تفرّ من زِحام الموت

آلهةُ المحاربين

وتهجرُ الميدان

ينفجرُ الصّمت

ويصغر الميدان

يصبح ساحة المشرّدين

وواحةَ المستضعَفين

ويخرج العبيدُ من أقبيةِ الجليد

لكي يعانِقوا اللهيبَ مرةً

ويجتلوا مباهجَ النار التي لم يعرفوها أبداً

ويكبرُ الميدان

تتسعُ الدوائرُ الحمراءُ حول مغربِ الشروق

ومَشرقِ الغروب

وتختفي سفينةُ الآلهةِ المُغامرين

حين يجيء المَدّ

في المدُنِ التي تكاثرتْ بلا أوان

في المُدنِ الألوان

★ ★ ★

وانشطَرَ البحرْ

كانت حبيبتي على الشاطىء

كانت لحظةَ الغروبِ تحتوي

عيونَها الواسعةُ التي

بحثتْ عنها ذاهلا •• فلم أجد

أرضي التي احتضنتْها •• وما وجدتُها

وكانت الأمواجُ تنقضّ الى القاعِ

وترتدّ عقيماً لا تَلِدْ

ولم أجِدْ

مويجةٌ تحملني

بحّارةٌ تصحبُني

فعدتُ مغلولَ اليدين

عدتُ منفيّاً أغنّي صخرتي

على شواطىء تجمّدتْ أشجارها

تحجّرتْ أقدام

ألمحُ صورتي على المرآة في القاعِ

بقايا عاشقٍ قديم

أنفضُ عني ذكرياتِ البطلِ المهزوم

أعانق الحمائمَ المحوّمة

صوتٌ يناديني •• تغوصُ في دمي

شفاهُها الصامتةُ المحرّمه

أطفىء جمْرة الضلوعِ في حرائقِ الشفق

كُنّا توحدنا •• فصار الموج حبّنا الذي

تفرّقت به الطرق

وانشطرتْ بحـار

أغنيتي بعيدة عن الرياح

قريبةٌ من المويجات التي تكسرت

قريبةٌ من شاطئين افترقا

وشاطئينِ ارتطما

أغنيتي بلا قرار

★ ★ ★

رياحُ هــذا الصيفِ لم تهبّ

ونحن ودّعنا لياليَ الشتاء

ولم تزلْ شُجيرتي

بلا زهــور

هل يقبلُ الربيعُ ياحبيبتي

بغير حُبّ ؟

* * *

كطائرٍ أعمى

ينسلّ في الظلام

للشاطىءِ المُباح للأقدام

عـاد ملاكُ الحب

يقرىءُ أهلهُ النيّام

أغنيةَ السلام

هبَّتْ رياحُ الحرب

فانبثقَ النور على العينينْ

وأغرقَ الشطّين

★ ★ ★

ينتصر الربان حينما
تغلبه البحــار
وتحتوي سفينته
يطعنها في القلب
ملقياً لهــا بجثته
ينتصر الموت
ليولدَ العطاء
فلنتعلمْ أن نموتَ مرّةً
على بحــار الحب

★ ★ ★

فهرس

معزوفات الحارس السجين



رؤيا إلى فلسطين

أفر كالملدوغ من أمسي

أنزل في حديقة الخيام

شربت .. لم تسكت جراحي سَوْرة المُدام

تفجرت على حديقة القدس

وأمطرت .. تحطست كأسي

بحثت عن نفسي

وجدتها بين الشظايا .. طفلةً

تبحث عني في مدارج القبور

أنا الطريد الميّت الضسير

أنا شهيدهـا

أنا الـدم المهدور في حديقة القدسِ

★ ★ ★

١ ـ حوار في الطريق

الساعة في الميدان تدق

تستبق الخطوات الجذلى والغرقى

تختلط الأصوات •• الأسماء •• المرئيات

والسحب على وشك الاقلاع

إلا حبات رذاذ فوق مرايا السيارات

[لا تُخلِفْ موعدَكَ الغد

فسحاب الصيف قصير العمر

ولتسرِ الأقدام

ولتتألق أعين

ما زال الكون بخير !!]

٢ ـ وكالات الانبـاء

في اليوم العاشر

نبأ من تل آبيب والقدس :

« مائتا آلف يُقتلعون

تـغرس أرجلُهم في الشط الآخر للنهر

ينزع من غزة جلد الغابة والصحراء

نُبدلها بالشعب « المختار » العائد عبر بحار المدنيه

ليضيء البريّه

لا يأتي العام الثالث حتى ينحسر الطوفانْ

ونعيد لغزةَ موقعها تحت الشمسِ

ويرتدّ الطاعون وراء القدس

غــزةُ

إسرائيلية !! »

٣ ـ بقية الحـوار

[أغلقْ هذا المذياع

فوكالات الأنباء الغربيه

ما زالت تغذو الأسماع

هما .. لا وقت لدينا

والسّحْب على وشك الإقلاع

طاب صباحك

ولتنفتحْ صفحات جريدتك المطويّة

كي نقرأ طرفاً من « أخبار الناس »]

٤ ـ في تل أبيب

[مائتا ألف عدّا

ويل للإرهابيين !

غزة ــ قال التلمود ــ :

لؤلؤة في تاج يهوذا

تصبح والأخت الكبرى لؤلؤتين

ونوفّي الدين

لا نحصدهم حصدا

لا يُعتقلون

بل نغرس أرجلهم .. أيديهم

في الشط الآخر للنهر .. مع الليمونِ

مع الزيتون

تغدو مليوناً •• مليونين

أقداماً وسواعد •• من غير رؤوس وعيون

تنمو أعنابا ونخيلا

تمطر مَنّاً •• سلوى

في بضع سنين

نجمتنا فوق أعالي صهيون

والهيكل في مملكة يهوذا

ويل للإرهابيين ! »

٥ ـ في غـزة

الساحة في غزة تحت هلال يقتحم الغيم

نصلا من دم

وصبي مثقوب الجبهة أدنى الجسر

في يده اليمنى كراسته •• في الأخرى

قنبلة •• وبقايا من جسد القاتل

وصبايا كشجيرات الورد

خرجت تحمي غزّه

وتقاتل عن غصن الزيتون وظل الوردِ

تقاتل

وتغني للعاصفة وللأمطار

غـــزةُ

عربيه

٦ ـ رؤيــا

حان ربيع الثوار

آن أوان الحب وأثمر شجر الشهداء

فلْتحصد « أخبار الناس » الأعشاب المسمومه

كي تزهر أوراق الورد وثمر الحناء

كي تتألق أعين كل الأطفال

الأطفال الآتين مع الأمطارِ

مع النـّوار

وتفيض الأنهــار

ولْتهوِ الأقدام الموصومة في القاع

حتى لا يغدو الأطفال كباراً في المهد

أعواداً قبل أوان الإزهار تصد الاعصار

تقضي العمر تصد الاعصار

وتحيل اللعبة قنبلةً
والبسمة نفثة نــار
وتعيش .. تموت .. تصد الإعصار
حتى لا تَسفح « دير ياسين »
دمعاً آخر بعد الأمس
يخضب وجه الشمس
حتى لا يُسفك دمُها في غزة بعد اليوم
ويغطي أوجهنا شلال الدم

• • •

غزة ... يا لؤلؤة فلسطين
وياسيف صلاح الدين
يارؤيا من نبع جراحات المنتصرين
غــزة
حطّين
والساعة في الميدان تدق !!

★ ★ ★

بيت ورياح

حين بلغنا المنعطف الثاني (★)
ذات مساء في أوهايو
غاصت فيه الظلمة واستعلى النور
كانت سيارتها تطوينا في قلب الليل
وأشارت : هذا بيتي
ما زالت في الجدران بقايا كتبي
ضحكات صغارى أبناء أخي
أبناء الأمريكي الأسود
ما زالت تتردد في الشرفات

(*) في صحبة الشاعرة الزنجيـة الامريكية عضوة لجنة الحقوق المدنيـة المطالبة بحقوق الزنوج في ولاية أوهايو

في بيتي
خنقتها باسم الدستور الشرطه
ليقام على الساحة قصر الحاكم
وحرام أن يجمع حي شمل الزنجي
في أوهــايو

• • •

وبدت في المركبة العجفاء
أكثر مني غربه
أكثر تحديقاً في الآفاق
في همس بحيرات خلف الغابات
في الألق المنساب علــى البريه
في الأسفلت اللامع تحت العجلات
في قطرات المطر الفضيه
في أحداق الليل
تتسمع صوتاً لا يأتي
يوماً قد يأتي
عبر البوابات الذهبيه

يقتحم القارات الخمس
يستحي الانسان الآله
يطفىء جمرات الحزن الرابض في الأضلاع
يسكت هما توقده أنفاس الليل الدافئة الرطبه

وعبير الورد الذائع في أوهايو
وهيام العشاق على الجزر الممتده
وقلاع بهرت عيني
سامت روحي الويل

ورياح من خلفي عصفت بي
من حيث أتيت
من أرض العربي التائه
من مهد الجبارين المهزومين

يا أختـــاه
قصت شعر الفارس أيدي صهيون
جدلت أحبالا للأطفال الجوعى
بقرت أحشاء نساء كانت ترضعْ

أطفالَ العرب المقهورين

ويل للجبارين المهزومين

مات صلاح الدين

فليبعث ألف صلاح الدين

ليعود طريد للمجدل

يلمع في جبهته وهج الشمس

وتضيء بعينيه الربوات

وتعود الرايات الخضر

أزهاراً فوق ظلال الزيتون

ومناديلَ على البيارات

• • •

سيدتي

طال علينا في أوهايو الليل

رفت أعلام الفجر

يا أختـــاه

ألقاك على خير

★ ★ ★

الجرح العاصف

« الى رجال المقاومة »

أكتب عن جرحي الغائر في وجه الشمس

أكتب عن عصفوري الأزرق يطفو فوق الأنواءِ

.. يغني في العاصفة الزاحفة على نهر العوده

أكتب عن أيد ترشق أزهاراً

حمراء على أبواب القدس

عن قلب يهوى .. يتفتح ورده

يتفجر ينبوع دماء تروى حقلا

تسقى أرزه

أكتب عن غزه

بالـــدم

وخيام تنقض نسوراً تلوي

أعناق الطير الأسود

تتلقف مهج الجبناءِ

.. المصلوبين على أسوار الصمت

أكتب عن سيناء

أكتب عن قسري الثلجي على أشجار الشهداء

يحلم بالإسراء

يقتلني بين الأحياء ويحييني بين الموتى

يقتلني حباً .. يقتلني مقتاً

أكتب عن أيام ترفع قمصان الـدم

فوق رقاب القتله

عن زهرة نار تحت الريح

كبرت .. أضحت طفله

تترصد أقدام الجـلاد

طفلا يكتحل غبار المعركة الأولى

علماً للعشاق المقهورين

يحمله الموت

يحمله الميلاد

أكتب عن فرسان آتيَّ

.. على أجنحة الجرح العاصف في وجه الشمس

أكتب عن عطر البيّارات .. وعن وهج البارودِ

.. على سيارات العمال

عن شرفتيَ المهجورةِ فوق رمال الشاطىء

عن وطني الظامىء

عن أمطارٍ سوداءَ على كتفيْ ليلةِ صيف

عارية تبترد بريح الزيف

تستدفىء بالخوف

وزنابق تغدو أجنحةً .. إكليل لهب

تدمي قلبي .. سكينَ غضب

تصرخ في الجنديِّ العائدِ

.. في الطير الآمن في السرب

تبقى أجوف كالقبر .. غريباً في أرصفة الميناء

حتى تتعلم أن تغنى بالحب .. وتحيى بالموت

يغدو واعظكم قرادا والشاعر مومياء

حتى ينزع أقنعة الحكمة والحكام
.. ويغمد في جسم الأفعى سيف الرعب
حتى يتعلم أن يحيى بالموت .. ويفنى بالحب
ويعود أغانيَ وزهوراً بيضاء
وجبينا يشرق بين السحب
وأراجيح ضياء

. . .

أكتب عن جرحي الغائر في وجه الشمس
أكتب عن موتي .. عن حبي

★ ★ ★

لست وحدك

شاهد العصر عليهم

أحرقوا ملعبك الغض الصغير

كسروا أجنحة العصفور .. عادوا

بيهوذا والصليب

رقصت عاهرة فوق القبور

ثم جاءوك مع الريح دخانا

وظلاما .. يرجمونك

فارساً تركب فرعاً من شجيره

ذاهلا .. تسسك كسره

ومضوا يستجوبونك

أين ولوا ؟

ها هنا حطوا وساروا

شبحين •• واحدا •• أربعةً

وتواروا فجأة خلف الحريق

يا لقطّاع الطريق !!

فمتى شاهدتهم آخر مرةْ ؟

فتشوا عنهم بعينيك •• بكفيكِ

•• وفي الثوب القديم

فتشوا فرع الشجيره

نقبوا جدران صمتك

لم تجب •• كنت تغني لعبتك

لعنوا همس النجوم

نبشوا بين حنايا مهجتك

فرأوا صفاً من الأشباحِ

يعطيكَ جواداً ورياحاً

شبحين •• واحداً •• أربعةً

• •مائة •• تقطر أحقاداً وموتاً

ورأوا حرفاً وصاروخاً وزيتاً

ضحكات •• وجراحا

• • •

لحظة ثم اختفيت

أيها الطفل الشقي

فتشوا عنك البريّه

في الحصا •• في الصخر •• فوق السحبِ

•• في قاع الحديقه

في بروج الإفك •• في قبو الحقيقه

في شعاع الفجر •• في الأرحامِ

•• في موج الغدير

في أنابيب المياه

في النواعير وأنفاق الجسور

وطواحين الغلال الصدّئه

وبقايا لفظتها لك أوكار الجريمه

والصروح الضخمة المهترئه

والحوانيت المضيئه

بدم الزنج ونيران الخطيئه

مزقاً .. بعض نفايات وليمه

فتشوا عشب المراعي والنجوم

وخيوط القمر الدامي وأشلاء الكروم

وعواء الريح والبحر ورؤيا الأمهات

فتشوا غرف التعذيب .. في بئر الجماجم

فتشوا علبة ليل .. عرس دم

والشموع الذاويات

فتشوا عنك بأيديهم .. بأقدام يهوذا

وبأفواه العواهر

نقبوا المذبح .. واجتاحوا المنابر

نبشوا عنك المقابر

فتشوا أثوابهم .. أعينهم

جلـد الأفاعي

ثم عادوا بيهوذا والصليب

لم يروك

ويلهم •• ويل لأولاد الأفاعي
أيها الطفل الشقي
أيها المارد في ثوب صبي

★ ★ ★

أودعتُها قلبي
ردْتهُ .. سال منه خيطُ دمْ
سمعت فيه صوتها يجيء من
حدائق الطفولة التي تعاقبتْ
فصولها بلا أوان
تزاحمت بلا دليل
سمعت صوتها بعيداً .. يرتطمْ
بحائط البئر التي بنيتُها حولي
وما أقاموا حول ظلي
رأيت فيه وجهها .. تغيرت قليلا
طريقنا هاجمه الشتاء

ونحن بدّدنا ليالي صيفنا الطويل

وحين ودّعناه سار وحده الزمان

لم نحتفل بليلة الميلاد

كان المساء بارداً والنار باعها الملوكْ

.. آخرُ الخصيان والإماء

أشعلتُ وحدي شمعتين .. انطفأتْ

احداهما .. قاومت الأخرى

رأيتُ في خيوطها وجوه من أحب

كانوا يغنون بلا صوتٍ

للشاطىء البعيد ما زالت عليه الشمس

ـ الشرق للميلاد والمغرب للموت ـ

ولم أعد ألقاه في عيونهم

عذبني الهمس

فطرت مبهوراً اليك .. خانني الشتاء

رجعتُ .. أشعلت وحيداً شمعتي

لم تنطفىء .. سالت خيوط دم

رأيت فيها الشاطىء البعيد

وجدتْني معانقاً ظلي
وجدت من تحبهم نفسي
سمعتُ فيها صوتهم يجيء من
حدائق الطفولة التي
لم تحتفل بليلة الميلاد
وكانت اللفائف النارية التي
تزاحمت على مكاتب البريدِ
.. كانت عودةَ الأعياد

★ ★ ★

الحب والموت

« الى البطل الفدائي في الأرض المحتلة »

لو أنني استطعت أن أراك يوم رحلتك

أشهد فجراً رائعاً قد أطلعك

ونجمة رافقت الليل معك

وودّعتْكْ

ألقاك .. أمضى كالحواريين .. أفدي خطوتك

أسكت صوت الموج والرياح في دمي كي أسمعك

أنفض عن قلبيَ أغلالي .. أصيح صيحتك

. . .

حين عبرتَ الأُفق عاليَ الجبين

والنهر والركن الشتائي الدفيء
وانطفأت على الموائد الشموع
« لا تبتعد »
واغرورقت عينان بالدموع
في وجهها الوضيء
ودوّت الأصداء فوق ألف مئذنه
وفوق أجراس الكنائس المعلقهْ
يا أيها الطير الذي أسرى به الحنين
يا بدرنا .. يا حلمنا القديم
لك السلامُ .. كل بيت موئلك
وكل قلب منزلك
لك السلام

. . .

يافـا .. لا ينسى الراحل أهله
مهما طالت سنوات الرحله
يافا .. يا لؤلؤة الشط المحزون

يا نجمة ليل الرواد المقهورين
يا رؤيا فجر لم يشرق بعد
نحن كسرنا بين يدينا القيد
وتعاهدنا نسقي بدمانا الورد
نُحيي بالحب الموت
فانتظري .. انتظري
يافا .. يا حبي
لحظات وتميد جبال الصمت

. . .

فلْتسقط الأمطار
ويبتلعْ ذئابه الطوفان
ولْترقب النساءُ مطلع القمر
على أسارير الصغار
لم يبق غير ساعةٍ
ويهبط الربان
يصرخ قلبه اللهيف يامدينتي

يا أملي •• أغنيتي •• حريتي

فدى لك الحياه

لك السلام

• • •

يا أيها الطير الذي أسرى به الحنين

« لا تبتعد »

كل الطيور غادرت عشاشها تستقبلك

كل البيوت فتّحت أبوابها تقول لك :

لك السلام •• كل بيت موئلك

وكل قلب منزلك

لك السلام

أيتها الأشباح •• يالعنة ماضينا الخضيب

يا جرحنا المسموم

ياطوقنا المشدود في الأعناق

ياحقدنا القتيل في صدورنا

ياصوتنا المزيف المشئوم

قد عاد يونيو العاصف الكئيب
ولم تزل غابتنا العذراء في عذاب الانتظار
تشتاق فارس النهـــار
ولم تزل سقيفة الكروم
وربوة الليمون
تضم مكمن الذئاب .. ملعب الصغار
في قلبها المضطرم الحزين
والدوحة القديمة الشماء
تجالد الإعصار

* * *

أيتها الأشباح
ياجرحنا وعارنا
ياخنجراً مسمماً في يدنا
مستخفياً تحت العباءه
خلف الثريات المضيئه
يرتد في نحورنا

يغوص في النقاء والبراءه

أيتها الذئاب

أيتها القاتلة العارية الشوهاء

نحملها على ظهورنا

حقيبة تثقلها الأشلاء

قد عاد يونيو العاصف الكئيب

واستبق الطاعن والطعين

الى ظلال دوحة على الطريق

قديمة شماء

والتقت العيون ..!!

* * *

هل تسمعها ؟

« نجلاء » تردد كلماتك

تهتف باسمك

تسألني عنك

جيفاراً •• هل تعرف « نجلاء » ؟

لِمَ لا تلقي كلمه

تمسح دمعاً سال من العينين الضاحكتين

سال بغير بكاء

لما عدت الينا ذات صباح

رسما في صفحات جريده

مثقوب الجبهة مسدول الأجفان

سألتني العينان الواجمتان :

جيفارا مات ..؟

فلماذا قلتَ يعود العام القادم

يهبط في أرض الزيتون

يوقظ قلب العالم

يوقد ناراً عند البيارات

يسقي ظمأ الزيتون على الربوات

يطعم كل المحرومين

يُحيي الموتى والمقهورين

• • •

سألتني عينا « نجلاء »

جيفارا .. هل تعرف « نجلاء » ؟

معذرة .. ضل سؤالي

خانتني الكلمات

هل يسأل عن طفلته الأب ؟

جيفارا يعرف كل الناس

لا يخفى شيء عن جيفارا
حتى أسماء الأطفال
كان يغنيهم خلف الغابات المحترقه
تحت الأمطار الجياشة بالدم
من فوّهة المدفع كان يغني
يهمس في قلب الأم
يحرس مهد الطفل
يهدي باقة ورد للعذراء

• • •

سألتني عن موعدك العام القادم
يا مصباح بيوت الفقراء
يا درع الآبـاء
سيفك باب الفردوس المفقود
معراج الغـد
طيفك رؤيـا عالمنا الموعود
عالمنا الأوحد

ياسرا نورانياً في كل سماء

يا قمراً أخضر كل مساء

يأتي .. يهدي الغرباء

يا طيراً في نافذة أسير دامي الشفتين

معصوب العينين

غنى في عرس الـدم

مجد الانسان الساري فوق النيران

يحتضن الأرض الأم

يحتضن الانسان

. . .

جيفـارا

ما زلنا ننتظرك

لا تنس العام القادم وعدك

أقبل في وهج الشمس على موجات النهر

في ضوء القمر الحاني أدنى الجسر

في بسمات الأنجم فوق شفاه العشاق

في ريح الصحراء تدوي بهدير الثوار

وتفوح بأنفاس الشهداء

وترانيم العوده

أقبل •• « نجلاءُ » تردد كلماتك

تهتف باسمك

تسألني عنك

جيفارا لا ينسى وعده

يا صوت الحب الأعلى

يا مجد الانسان

يعلو فوق النيران

يحتضن الأرض الأم

يحتضن الانسان

جيفارا •• جيفارا

★ ★ ★

الأبواب الموصدة على البستان
فُتحت •• بشرى للشيطان !!
التفاح المسمومُ على الفم
وعلى الوجه قناع النسيان
يقطر بالـــدم
بشرى للشيطان !!
فُتحت كل الأبواب
كل الجدران انشقت
يا ويلي
أين ترى يغفو طفلي ؟
غطّى الموج الشرفات

وتدلت تحت السور الأعناق

يا ويلي

يا ويل الآبــاء

الأجنحة البيض تناجي الغيمات

تضحك للشمس •• تضيء الآفاق

تغدو خلف رياح الغابات

لكنّ على الوديان الخضر

أفعى تجتاح صغار الطير

تلتهم الــدم

تزحف في قاع الظلمات

بحثاً عن طعم

عن نسر هاوٍ فوق الفلوات

• • •

الأبواب مُفتّحة للشيطان

من يرميه بحجر منكم ؟

من منكم يرميه بسهم ؟

يطلقه بين العينين

يغرس رمحاً بين الكتفين

من يقتلع الأقدام اللاهثة وراء الدم

تجمعه .. تسقيه الأفعى

ممزوجاً باللبن الأسود

لبن الأم الثكلى

ودماء الرفقاء القتلى

من يقتلع الشيطان ؟

دوّت فوق هدير الطوفان

صيحة طفل باكي العينين

دامي الشفتين

عانٍ عريان

مدّ ذراعاً من شط الأحزان

بحثاً عن انسان

يعلو فوق النيران

يغسل بدماء الشيطان

عـار الأفعى

★ ★ ★

نامت على صفّارة الأمـــان
تغمض عينيها على سؤال
« أين حكاية المساء
من أطفأ الأنوار
هاما •• وأغضب السماء ؟ »
وأنتِ في النافذة الزرقاء
تنتظرين عودتي ومطلع النهار
وحدك •• والتذكار
يملأ سمعيك بناقوس القطار
يعود من غزه
يحمل عطر البرتقال

ولعبة الى منار

ومفرشاً للمائده

بنات يافـا اللاجئات

نسجنه .. « هل يعجبك ؟

وقد دعت لي الأمهات .. »

. . .

لم تمض غير ساعةٍ

وانطلق النذير

تقطّع الصغير من جديد

يرُوع طفلتي

يُسقط من أحضانها لعبتها

يخنق طيف بيتنا البعيد

يُسكت ناقوس القطار

ماذا أصاب اللاجئات ..؟

ماذا تقول الأمهات ..؟

. . .

وجه منار صحونا

دقـــة قلبينا

كِلـْمتنا التي اختفت

ضِـحكتنا التي انتهت

نجمتنا تنير عندما تطفـّأ الاضاءه

صوت منار فجرنا

عودتنا •• هتافنا معاً

عبير برتقالنا

غناء أمهاتنا

بناتنا

أحلامنا بمولد الحديقه

والشمس •• والراية •• والبراءه

تعود •• والحقيقه

١٢ يونيو ١٩٦٧

★ ★ ★

على ربى جوبيل

حين نزلنا مشرب « الباروك »
وابتردت جباهنا بين الصخور
من قطرات الثلج
واغرورقت منا العيون من أسى
على ليالينا التي طالت
على المروج والجبال والثغور
تحلم في سحاب الانتظار
كان المساء العذب يسكب الظلال
تشربها الجداول المنحدره
وينثر النسيم حبات الندى
على الروابي الخافقات بالعبير

والخطوات الحالمات كالغدير

والنظرات المُسْكِره

وكنتِ ــ ما أبهاكِ ــ تحت الندى

أرق زهرة على ضفائر الجبل

وكنتِ أحلى ما اجتلت عيناي

وكنتِ مغنايَ ومسراي

يا موجةً في نهريَ الظامي

تألّقي في ربوة « الباروك »

تدّفقي من فوق أوهامي

• • •

يا نجمتي •• وحين ضمتنا النجوم

وعانق السحاب خطونا

تحت الروابي الباسقات •• والثمر

مهدل من قدك المراح

ومن ذوائب الجبال حولنا

كان الجنَى ملء العينين

والعين لا ترْوى من النظر
ياما أحيلى العاشقين
النبع والوردة والجناح
والليل ما أحلى لمن يحب
ينساب في القلب وفي العينين
لآلئا من الندى
تمضي عليها ذكريات السنين
فتصبح اللؤلؤة البيضاء
شمساً الى أطفالنا الآتين

* * *

عيني على الأصداف والأطياف
من كل طيف نزِق شفيف
ينسج لي ستائر الحلمِ
وكل همس ناعم الرفيف
ينصب لي أرجوحة الوهمِ
صديقتي ياوردة الضفاف

رائعة أنفاسك الندية المعطره
لكنّ أنغاميَ في هذا المساء
حزينة مبعثره
فوق جبال الملح والنحاس
كأنها أجراس
تودع النهار من أعلى الجبل

• • •

على جناح الصخر ألقت بي الرياح
أسرت بخطوتي الليالي
أضم طيف الورد في الأعالي
أشتاق للنسر القديم
مرتقاً على السفوح والتلال
يا عينيَ المبهورة الظلال
ماذا يردد الصدى ؟
وتحمل النجوم للصباح ؟
فوق رماد الوهم والغيوم

رمت بيَ الليالي
وحدي على الأعالي
على جناح الطائر الصخري والجراح
فمن يعيد نسريَ القديم ؟

* * *

بين ظلال الأرز والخرير
وصوتُها أصداء ناي من بعيد
أثرتِ يا « فيروز » طير الشجو والحنين
مهوّماً على مشارف السنين
كسرتِ نصل الانتظار
وحلمنا الغافي الحزين
كسرتِ قيدي
أطلقتِني من الإسار
صوتك يا شاديتي شمس النهار
وفجرنا الغائر في الأسرار
وطلعة الثوار

• • •

على ربى « جوبيلَ »[1] مدّت لي الصخور
وسادة من شوك ذكرى الورد والعبير
يخونني الدمع عليها .. أرتقي
ربوة ايزيس .. أبث الوجد .. أرقب المعاد
أحلم في عرائس الميلاد
والنسر فوق الصخرة البيضاء
أحلم في القدس .. وفي سيناء
أحلم في بوارج الميناء
صغيرها في غبش المساء
يقتلع القلب العليل
حزناً على يافا .. على الجليل

• • •

---

(1) مدينة لبنانية على شاطىء البحر الابيض تروي الميثولوجيا المصرية القديمة ان تابوت أوزوريس قد رسا على شاطئها حيث التقت به ايزيس فكان البعث .

أحلم في كتائب الموتِ

تحملني من هوّة الصمتِ

الى جبال النار

الى الصنوبر الحزين

تحملني على جواد العاصفه

الى حقول الياسمين

• • •

رأيت في « عين الصفا » « عيني منار »

وا لَهفي – ياوردتي – على النهار

ينساب في مرآته الصغار

والهفي على العيون المُشرَعات .. والشهيد

منحدر على محفّة الغروب

في عبق الزيتون والبارود

وخفقة الصدور والصخور والشجر

مصعّد بين أغاريد النساء .. والرفاق

سواعد ممدّده

بنادق مسدّده

في وهْجها يلتئم الجرح الدفين

ويهدر الشلال في « عين الصفا »

يودع النجم المولى •• والشفق

يغرس نصلا دامياً في الليل

ويفتح الطريق للشهيد

مرتقياً أعاليَ الجبل

تحيطه العيون والزيتون والبارود

وألف نجم ثاقب على الأفق

يطل من « عين الصفا » عيني « منار »

يحلم في بحيرة الورود

بالـدم •• والراية •• والنهار

★ ★ ★

النجم الجواب الثاقب

حين أطل على شرفتنا

ورأى أشواق مدينتنا

لم يقطع مسراه

النجم الجواب الثاقب

أخلف موعده الليله

طالت أيام الرحله ؟

أم عاجله السهم الحاقـد ؟

كل مساء ينتظر القلب

موعدَه .. يأتي

يستهدي زهـره

يسقينا سحره

يُطْفِي نيرانَ الوجد
ينفض عنا غيمات السهد
تخفي سترته الأشواك
وجراحات الصخر
وعلى الوجه المعبود الغائب
وهج الأسلاك
ونثار غبـــار
ويفوح الصبار
ويغيم نهـــار
والنجم الجواب الثاقب
ما حان ولا حان الموعد

• • •

الأعين عني ترتد
تستخفي والأيدي تطوي الأنباء
عن عينيَّ الظامئتين
عن كفي الخاليتين

ومدينتنا عبر الصحراء

ورد يسقيه نهر الـدم

رؤيا نجم يهوي في الدم

يا نجمي

يا نجمي المخضوب الجبهة بالدم

يا نجمي الغائب

أين طواك الأفق الشاحب ؟

يا شهداء المأساة

يا أشباح الويل

مات الليل

والنجم الجواب الثاقب

لم يقطع مسراه

إني أعرفه

يرنو بعيون نبي

يبسم عن ثغر شهيد

يهبط غوثاً للعاني في قريتنا

وشهاباً يرجم إفك مدينتنا

وجناحاً لغريب وطريد

• • •

يا زهرة وادينا الفواح بعطر الحب

وعبير ضحايا الحريه

بلبلك الليلة أوغل في مسراه

يأتي .. لا يأتي

يأتي لحناً من سيناء

كل مساء تعزفه الريح الشرقيه

وتردده الأصداء

رعداً في الآذان الصماء

سكيناً في أجفان الجبناء

عشرة آلاف شهيد

دمهم ما زال يروّي البريه

يسمل أعيننا الجوفاء

ويلطخ أيدينا

يدعو مليون شهيد

من كل شهاب .. نجم يهوي

لكن لا تهوي سيناء

نهباً في أقدام القتله

قتلة أحباب الله

• • •

اللعنة فوق رؤوس الفرسان المقهورين

ان لم يهوِ فداءك ياسيناء

يا غزة .. يا لؤلؤة فلسطين

يا قمما شُمّا في جولان

يا ضفتنا الغربيه

ياقدس الإسراء وياسر الأبديه

ياشاهدة العصر المقتول القاتل

اللعنة فوق جبين البشريه

اللعنة فوق رؤوس الفرسان المقهورين

إن لم يهو فداكِ العشاق

عشاق الحريه

مليون شهيد ... نجـم ... حتى النصر

★ ★ ★

تصدح الأطفال في غـزةَ في ضوء القمرْ
وأنا مـا زلت والتذكار نصغي للغنـاء
وهو ينساب رهيفاً مثل دقـات المطـرْ

• • •

يا حبيبي •• كيف عـاد الحلم في بضع سنين
واستدارت وردة الشطين •• والأرض الموات
حملت •• واهتز في الصحراء غصن الياسمين

• • •

واذا بالـــدم يسري في شرايـــين الشفق

وعلى شـــدو ضحايانـــا بآيات العبور

طفلة تضرب للأحـــلام أوتـــار الغسق

• • •

ياحبيبي••يكبر الحلم علىخطو الجنود

ويوافينا مـــن الشـــرق عبـــير البرتقال

واذا غـــزة فرسان أساطـــير وعيـــد

• • •

واذا القدس على الأفق تصلى •• والقطار

يتدانى صوته النائي •• ويشتاق النخيل

والروابي لتلاقينا •• وتشتاق البحـــار

• • •

ياحبيبي •• كلما أبطأ عن يافـا السنا

طرقت أبوابنا أيدي الرفـاق الصاعدين

افتحوا للشمس •• كونوا لهوانا وطنا

• • •

واجعلوا من كل جسر ألف بستان ودرب

تولد الأقمار فيه •• ويغنيهـا الشجر

ويزف المـوج للأطفـال ترنيمة حـب

• • •

ياحبيبي •• أترى طـير فلسطين يعود

يعبر البحـر الى الضفة مشبوب الحنين

يعبر الضفة للبحر •• ويجتاح الحدود

★ ★ ★

حينما نخطر في الحلم على جسر الحقيقه

لا تقولي هذه أرض فلسطين وكانت

جنة خضراء •• صارت قرمزيه

كبر الزيتون •• والتفاح في الخـد

•• وفي البستان أحلى

غير أن الربوات البيض عادت شفقيه

وغدت آبارها غير الذي كانت

وبياراتها فاحت أفاويه زكيه

زهرة حمراء في الليل

•• وفي الفجر تراءى قمريه

لا تقولي حالت الألوان والأزمان

.. لا تصغي الى همس ترانيم خفيه
كضحايا يحلمون
وانظري وجه فلسطين قميرا
عائداً يقطف زهر الياسمين
راية الميلاد في كل حنيّه
وعلى كل طريق وحديقه
واسأليني حينما نخطر في الحلم
.. على جسر الحقيقه
عن صبي واسع العينين
.. ممشوق كأشجار الصنوبر
قد أتانا ـ في غـد ـ أعلى الجبل
ودعانا نرشف « الجلاّب » في بيت صغير
في الجليل
مـد بالإغراء حبلا جدلته الذكريات
كعناقيد العنب :
[دارنا كانت عريناً لبطل
وأبي كان يحب الأرض والثورة

... والأطفال في كل وطن

واذا غاب — وكم طال الشتات —

عاد يروي ما اجتلاه عندكم

في الوجوه السمر والأيدي القويه

واختلى بالسر والأوراق في الليلِ

.. .وفي الفجر ارتحل]

انظري غرس السنين السبع

.. كالنخلة .. كالصخرة .. يرقى .. يتحدّر

رافعاً قامته يومىء أن تتبع مسراهْ

.. على الدرب الطويل

وهو كالعصفور مراحاً ولكنّ اليدين

تحرسان ابنتنا أن تتعثر

كيف أسلمنا له القلب حنيناً يتفجر

كيف فرت دمعة حرّى وغمغمتِ سرورا

والتياعاً .. وسكون الريح في القلب دوّى :

إنني أشهد في ست الصبى

زائراً أقبل من بضع سنين

وتولى بعد أن خلّف لعبه
وحكايات روتها الأمهات
لبنات القدس من قبل الرحيل
وانحنى يطبع قبله
فوق أهداب « منار »

* * *

الغيم يحجب القمر

والغابة العذراء في عذاب الانتظار

تشتاق فارس النهار .. تخطف البصر

أمواجها الخضراء تحت نوره الدفاق كالمطر

لكنما في قلبها المضطرم الحزين

تفجرت .. توهجت عيون

وطارت أطفالها الذئاب

خلف سقيفة الكروم

على ربى الليمون

وتعول الأصداء حين يسكت الطراد

خطا على الممر •• قطرتا دماء

• • •

لا وقت للهموم

قد هبت العاصفة الهوجاء

تدفن أشلاء القتيل •• تخمد النواح

تعوي فيفزع الذئاب •• يُهرع الأطفال

يلتقيان فجأةً

في ظل دوحة على الطريق

قديمة شماء

تجالد الرياح

تحنو على انسانها المصلوب •• وحشها الغريق

★ ★ ★

بين أسنة الرماح

كان الصحابي حنيناً يرتسي

كطائر مسراه في السحاب

لكنه يهيم عند مفرق الظلال

بدوحة حمراء في قاع التلال

تضم عشا دونه العذاب

وحينما ارتسى

تخضّب المنقار والجناح

وصاح : ياحبيبتي نجوت

تفجرت رياح

وانفتحت حدائق المدينه المنوره

فلتحتضنْ عِشاشَها الحمائمُ المهاجره

ولتترجموا الأفعى

★ ★ ★

تفدى فلسطين الضحايا القادمين

أوراس هذي أنتِ .. قلب المنجم الملتهبِ
مطرقتي .. فأس أبي
درع أخي المنتصره
منارة للعربِ

. . .

ما زلتِ كلما تطوّق الاضاءه
تشتعلين بالندى وبالردى
ما زال راعيك يغني .. والبراءه
تلبس درع الموت حيثما يثور
تشتعلين .. حين حدثتك في ذاك المساءِ
.. كنت هارباً من شجني

كنت رفيق الفقراء

كنت ربيت الفقراء

غدوت قاتلا

دماً ملطخاً قميص الأنبياء

محاصراً .. مطارَداً في وطني

من اللصوص الأشقياء

. . .

أوراس يا مهد الرعاة المرده

أعتى صخور المغربِ

لؤلؤة فوق جبين العربِ

يستبق الأطفال في مهادك المنير

وأنتِ ـ ما أبهاكِ ـ مسرانا

هتافنا ونجوانا

يا بأسنا على العداة والطغاه

يا قبضة العناه

بركاننا على مراتع الهوان

رايتنا الحمراء •• صخرةَ الأمان

• • •

أوراس هذي أنت •• موئلي ؟

منطلقي ؟ منفاي ؟ أم ترى ذراكَ معقلي ؟

أم شجني المقاتل العنيد

والأمسيات المثقلات بالحنين

والذكريات

آلقاكِ من بعد الشتات

قلعتنا تلقف إعصار الشمال

ورد الجراح اليانعات

فجر الليالي العاصفات

صوت الجلودِ تحترق

صوت القيود تنسحق

صوت الرقاب تنعتق

صحوتنا اذا انطوى شهاب

مولدنا الجديد كلما هوى شهيد

• • •

وجه دليلي قرطبي القسمات

والنظرة النجلاء من نور النبي

والكبرياء من علي

وجه دليلي عربي قرشي

فأين مني وطني ؟

تفضحني إشارتي

مدينتي تنكرني

لم تغتفر لي هجرتي الأرض الخراب

وعرش كافورَ استوى فوق نعوش الفقراء

بين حراب الجند والنيل دمٌ

على جباه الراكعين

على رقاب الساجدين

• • •

أوراس سيف الشهداء

يازهرةً تأرجت فوق الرماد

أسطورة العطاء •• عرس اللهب الأسرارِ

•• يا وشم الدم الأنهــارِ

•• في عالمنا القديمْ

عالمنا الرجيم

•• عالم الجياعِ" والملوك والكتائب الشعبية الحمراء

عالمنا الذي تساقطت نسورُه

واستعلت الذئاب

واستأسدت كلاب

عالمنا الموصوم

عالمنا المحكوم بالرّده

• • •

صوت دليلي السيف والورده

والثائر الراعي الجبل

صوت دليلي العربي بن مهيدي

مدينتي كان لها يوماً مهيدي •• انفجرت

كل الجراحات على الورد الذي ينزف •• ورد النيلِ
•• آهٍ •• تنزف الأمطار في كل العيون
صمت المواويل صلاه
صوت الدم الجاري زكاه
كان لنا يوماً مهيدي •• كل جيل
يخرج ألف مرةٍ
يسقي جواده ويستقي لنا
نشتاقه بعد الرحيل
تشتاقه السنبلة الوسنى على صدر الحقول
يشتاقه الليل الطويل
كان اسمه أحمد عرابي
كان حساماً عربياً لوّحته الشمسُ
•• والترعة السمراء والصحراءُ
•• لا يعرف الا فأسَهُ
أو سيفَهُ
كان حبيب الفقراء

• • •

كان لنا يوماً مهيدي •• كل جيل
يخرج ألف مرةٍ
كان سليمان اسمه
والقلب والعينان من حلب
لما هوى سكّينهُ
فوق رقاب الظالمين
كان أمضى من شهاب يحترق
اليوم لا غالب الا الله وانطلق
يملأ عينيه بأطياف دمشق
مودعاً منائر القرآن والآذان في الأزهر
•• كان الأزهر الشريف بيتاً من بيوت الله
في ذاك الزمان
واليوم أين بيتنا •• قلعتنا •• مسجدنا ؟
وأين بين الركّع السجود في حجر الغواني
•• أين فرسان محمد ؟
وأين أين الله
•• ان الإفك في الوادي وفي البيد يعربد ؟

أين أبو ذر يردد :

عجبت ممن بات جوعان ولا

يمتشق السيف على من ظلمه ؟

مات أبو ذر ولم يشهد قرانا

في جنوب الأرز أشلاء تمزّق

بيادراً .. كرماً وأطفالا تحرّق

والمدن النفطية الحمقاء عريا تتجرد

والصانعي القربان من لحومنا

.. نسعى اليهم نتعبد

وتحت بيتنا العتيق تُقرع الأجراس للعبيد

والمجد للطغيان .. للخوّان .. للبائعي الموتى

.. لشذا ّاذ اليهود

المجد للشيطان والمرتد

* * *

مات أبو ذرّ ولم يشهد يهوذا

يشتري لحمي ويكتال وينشد :

[أيا حائط المبكى سلاما .. لقد غدا
عدوّي أسير الخوف والزيف والمقتِ
ومات صلاح الدين بعد محمد
وعادت سجاح" بينهم ربة البيتِ]
عجبت ممن شدَّ للقدس الرحال .. لم يُطق
مقعده فوق رؤوس الشرفاء
ثم ارتدى مستجدياً سفاح دير ياسين عون الحلفاء
فأين صوت الناصر الأمين ؟
صوت دمي .. دمائكم .. صوت فلسطين
صوت دلال المغربي
صوت الشموخ العربي
صوت ابنتي .. حبيبتي .. منقذتي من شقوتي
صوت فلسطين التي تصهرنا
بنارها .. تجلدنا بثأرها
يقضّ مضجع القبائل التي
تحلم بالأموال والبنين
تقتلنا بعارنا ان لم نصن

بنات يافا والخليل

بنات يافا الصاعدات في الشّعاب والسهول

يطلقن لحن الرعب للمغتصب الضّلّيل

والويل للصامت والمأجور والذليل

للقاتل الحرية القتيل

• • •

تفدي فلسطينُ الضحايا المدرجين

على قوائم الخليج والمحيط

تأسو جراحات الصبايا

تحرر العبيد والغرقى

•• وتغسل الخطايا

والمجد للشهيدْ

★ ★ ★

قصيدة جماهيرية
في ذكرى انطلاقة ثورة التحرير الفلسطينية

سقوط الأقنعة

صفير الطلقة الأولى أغاريد"
ويكتب أول الشهداء فوق خريطة الدنيا
حروفا أسقطتها أبجدية عارنا العربي في عصر السلاطينِ
ويبرأ جرحنا الدامي على أصداء عاصفة تدمدم كالبراكينِ :
شهيد من فلسطينِ
ويغمد أول الشهداء خنجره بصدر الإفك في أحشاء صهيونِ
وتسترق الأفاعي السمع •• تصحو أعين الجبناءِ
•• والسكينُ في الأجفان والأعناق •• فامتشقي
سيوف النار والاعصار في بيارة الأنصارِ
•• ان الكرم معقود على موتي
لكي تحيى فلسطيني

وتسقط كل سارية علّتْها راية الفجّار والنساك بالأموات

.. والتجار بالأموات والأحياء .. من باعوا أبا ذرّ

ومن خانوا عليّاً .. من زنوا في الليل تحت جدار بيتهمو

ومن صلّوا على ديّان ..

.. أهدوه سراويل الصبايا المجدليات ارتموا

من حول عورته ملبينا

وقال الكاهن الأفاق والأصباغ فوق جبينه الممسوخ آمينا

وبايعه لصوص النهر والصحراء سراً أو علانيةً

ومن فرشوا لهم سينا

بساطاً مخملياً قانياً من لحم قتلانا وجرحانا

لنشهد آية أخرى .. زفاف العرس للشهداء في يافا

زفاف عروسنا في النيل بعد سقوط أقنعة المرابينا

وصيحات السكارى في مضاجعنا .. مساجدنا .. بوادينا

نشاوى من صديد البؤس .. من دمع اليتامى

من دم زكيّ به التاريخ وادينا

زفاف الفجر بعد سقوط آهات البغايا والمغنينا

على قبر النبيّينا

وخيمة طارق بن زياد فوق البحرِ
ـ آهِ .. كان بحيرةً عربيةً
واليوم ينصبها سماسرة ونخّاس"
وباعة نسرنا العربي في الأضحى
موائد للقرابينا
وسوقاً للموالينا
وللأحرار من أحفاد طارقنا زنازينا
تهاوت آخر الأوراق عن فخذين عاريتين في الملهى
ودقت آخر الأجراس عالية تشيّع جثة الهاوي
على أحبال راسبوتينَ .. كيسنجرَ .. في ماخور شمعونِ
تهاوت آخر الأوراق .. فُضَّت سوقهم..كسدت بضاعتهم
تهاوى الزيف
وعـاد السيف
ويكتب أول الشهداء فوق خريطة الدنيا
حروفاً أسقطتها أبجدية عارنا العربي في عصر السلاطينِ
تعود « كرامة" » أخرى .. ويكتب آخر الشهداء في أيلولَ
.. آخرهـم « بتل الزعتر » المصلوب في أيدي يهـوذا

من عروبتنا

سيوفَ النار والإعصار يا بيّارة الأنصار

•• ان الكرْم معقود على موتى

لكي تحيى فلسطين

ويسقط عرش فرعونٍ على بانيهِ

•• دير ياسينَ تلعنهُ

وأشلاء لعمال أبي زعبلَ

•• والنابلم يشوي أوجه الأطفال •• ترجمهُ

وصرْخات على أبواب ايزيس التي ثكلت قداستها

تدق سجونه العطشى الى دمهِ

لتُطلع فجرنا الآتي

يداً قدسية طيبية برْقية من صخرة الأوراسِ

•• من أرض الفراتين •• ومما أولت الفيحاءْ

•• ان النصر معقود بناصية الملايينِ

• • •

صفير الطلقة الأولى أغاريد"

ويكتب أول الشهداء فوق خريطة الدنيا

تهاوى الزيف

ومات الخوف

سيوفَ النار والاعصار يا بيّارةَ الأنصارِ

•• إن الكرْم معقود على موتى

لكي تحيى فلسطيني

★ ★ ★

فهرس

رؤيـا الى فلسطين

منشورات الاتحاد لعام ١٩٨٠

اسم الكتاب	المادة	المؤلف	السعر
١ ـ آن له أن ينصاع	رواية	فارس زرزور	١٠٠٠٠
٢ ـ الوقائع	شعر	خالد درويش	٤٠٠
٣ ـ كيف النار تختصر	شعر	علي محمد حسن	٥٠٠
٤ ـ نشيد الصباح	شعر للأطفال	ممدوح السكاف	٣٠٠
٥ ـ الارض والذئاب	قصص للناشئة	مكرم الكيال	٤٠٠
٦ ـ الأمل	شعر للأطفال	خالد خزرجي	٢٥٠
٧ ـ اغنية الأنهار الصغيرة	قصص للاطفال	سعيد جبار فرحان	٣٠٠
٨ ـ بحثا عن مدينة أخرى	شعر	محي الدين زنكنة	٧٠٠
٩ ـ الجمر في الرماد ملحمة	رواية	عبد الرحمن عمار	٥٠٠
١٠ـ اللوز المر	قصص	محمد الهرادي	٥٠٠
١١ـ ربيع وخريف	قصص	علي خلقي	٥٠٠
١٢ـ سلامات أيها السعداء	قصص	يوسف احمد المحمود	٧٠٠
١٣ـ العرش والعذراء	مسرحية شعرية	خالد محي الدين البرادعي	٧٠٠
١٤ـ حين تتمزق الظلال	قصص	د ٠ بديع حقي	٥٠٠
١٥ـ عشر معلقات وموثبة في الجاهلية الأخيرة	شعر	د٠ أحمد سليمان الأحمد	٨٠٠
١٦ـ الرؤية النقدية	دراسة	محمود منقذ الهاشمي	٥٠٠
١٧ـ واقعية ما بعد الحرب	دراسة	حنا عبود	٥٠٠
١٨ـ المدخنة والغيوم	قصص للاطفال	عبد اللطيف الارناؤوط	٣٠٠
١٩ـ معزوفات الحارس السجين	شعر	د٠ حسن فتح الباب	٦٠٠
٢٠ـ اللغة والأسلوب	دراسة	عدنان بن ذريل	٧٠٠
٢١ـ دوائر في الهواء	شعر	عبد الرحمن غنيم	٥٠٠

تحت الطبـــع

اسم الكتاب	المادة	المؤلف
- جحا باع حماره	مسرحية	نبيل بدران
- مدخل الى دراسة الادب المعاصر في الاردن	دراسة	احمد المصلح
- الانتقـــال	قصص	صلاح دهني

سـعر النسخة

سورية ٦٠٠ ق٠س ــ **الكويت** ٨٠٠ فلس ــ **عدن** ١٢٠٠ فلس ــ **البحرين** ١٢٠٠ فلس ــ **أبو ظبي** ١٢ درهم ــ **ليبيا** ١٠٠٠ مليم ــ **المغرب** ١٢ درهـم ــ **السودان** ١٢٠٠ مليم ــ **مصر العربية** ٨٠٠ مليم ــ **لبنان** ٦٠٠ ق٠س ــ **الاردن** ٦٠٠ فلس ــ **قطـر** ١٢ ريال ــ **السعودية** ١٠ ريالات ــ **دبـي** ١٢ درهـم ــ **تونس** ١٠٠٠ مليم ــ **الجزائر** ١٢ دينار ــ **العراق** ٨٠٠ فلس ــ **الخليج العربي** ١٢ درهم

طبع في دار الأنوار للطباعة
دمشق - المنطقة الصناعية
١٩٨٠/٦/١٠٠٠